ومغاربها ، فاختار مكة المكرمة لأنها كما يقول : « مبعث الدين ، ومناط اليقين ، وفيها موسم الحجيج العام فى كل عام، يجتمع إليه الشرق والغربى ، ويتآخى فى مواقفها الطاهرة الجليل والحقير ، والغنى والفقير ، فكانت أفضل مدينة تتوارد إليها الأقطار ، ثم تنبث إلى سائر الجهات ... وما هى إلا كلمة تقال بينهم من ذى مكانة فى نفوسهم حتى تهتز لها أرجاء الأرض ، وتضطرب لها سواكن القلوب[1] .. » ، ومن ثم كان السيد الأفغانى يطمع فى أن يكون موسم الحج مؤتمراً عاماً يتلاقى فيه المسلمون بآمالهم ، ويتعهدون فيه شؤونهم ومصالحهم ، ويؤكدون به غاياتهم وروابطهم ، وإنها لفكرة قويمة جليلة لو استطاع القائمون بأمر الإسلام والقوامون على المسلمين الانتفاع بها ، لكانت للأمم الإسلامية قوة روحية لا تنفد ، وعدة تعينهم على مواجهة الشدائد والصعاب ، وذخراً يملأ نفوسهم بالسمو والطموح إلى آفاق المجد والارتباط المتين لاستقبال الغد .

الكلام صلة

محمد فرهمى عبد اللطيف

(١) نقلنا هذه الفقرات وما قبلها من مقالات العروة الوثقى التى كان الأفغانى صاحب الرأى فيها

فلسفة المجتمع

الصراصـــير . . . !

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

قال لى صاحبى ليعلم ما بى . . . مالك كأن أمراً ذا بال استقل بك عن دنيا الناس . قلت : صدقت فراستك ياصاحبى على ندرة ما تصدق ؛ فقد انفرجت الهوة بينى وبين دنيا الناس ، وأصبحت مشغولا بتوافه المخلوقات فى دنيا الصراصير ... وهذه الطائفة من هوام الأرض هيئة ضئيلة الخطر؛ لأنها تألف بأملاء طبعها عليها ، ودفع تكوينها لها ، « الجدار » المتداعى من « بيتك » الذى يريد أن ينقض وتريد أنت أن تقيمه ، فلا تريد له هذه الصراصير بقاء أو سلامة ، هى جادة فى عبثها وأنت جاد فى حذرك منها والهزيمة على البائس منكما . . .

ومن فلسفة الحياة أحيانا ، أن تقذف بالسوس فى لفائف العود الباكر قاما أن يتقصف أو يستطيل على الريح ! !

ومن فلسفتها كذلك أن تحترم عزمة الكاسر الضارى وتشد وثاقه وتطلق عليه « الفيران » تلتطم بجبهته وتتساقط حواليها ولن تظفر بعد ذلك منه بغير تثاؤب طويل .

أعود بك ياصاحبى لقصة الصراصير ... فهى فى فلسفتها ليست بأقل شأنا من فلسفة السوس مع العود الباكر ، أو جماعة الفيران مع الضارى الكاسر ، وما إخالك تسترسل للاسترسال فى اكتناه أسرار هذا الفريق الآخر من فلاسفة المجتمع .

أعود فأقول لك : إنك إن يئست من اتقاء شر هذه الحشرات فأنت مقدم بذلك كافة جدران بيتك هدية لفتكها وعملها الخبيث .

هى مولعة أن تأكل اللبنات الطيبة ، فان لم تجد جدارا تقوى عليه ، انقلبت يعدو بعضها على بعض ، فتتآكل وتفنى ، والموقف منها ذو حيلتين : إما أن تقيم معها على الضيم الرخيص وفى ذلك اعتراف بها ، وتقويم لوجودها . . . ثم فيه أخيرا تشجيع لها لتمضى على سنتها التى درجت عليها ، من الاختلاف إلى كل جدار ؛ تتكاثر فى قاعدته ، ثم تتسرب جماعاتها فى تجاليدها المظلمة ، تكد وتجهد ، حتى يتطامن الجدار ويصبح كله قاعدة . فاذا البيت لا يصلح إلا لهذه الصراصير ... وحيلتك الثانية معها أن تنزح وتتركها فى الزوايا المظلمة ؛ تعبث وتلهو ، وتجنب نفسك بذلك فضل احتمالها بشعورك بها . . .

... فانتفض صاحبى قائلا : أو ترضى يا أخى أن تهزم وتنتصر الصراصير !

قلت : هى على كلتا الحالين منتصرة ، تعوز رب البيت وسائل التطهير .

ثم أنسيت أنت قول الرجل العربى «خير لنا أن تغلبنا قضاعة من أن نغلب قضاعة » . . . قال : وما قصة قضاعة هذه ؟ فقلت : هى قصة تلخص فلسفة مجتمع مضى كان صريحا واضحا . تربى فى كنف فلاسفة الرجال ولم يتلق تعاليمه ونظمه الاجتماعية من فلاسفة الصراصير ؛ تلك الطائفة الحائرة المحيرة . . . فاطمأن صاحبى فى جلسته ، وأخذ يفرك جبهته بأنامله قائلا : بدأت أفهم يا أخى فقلت : وأنا بدأت أفكر فى ادخارك لحديث آخر يكون كله مفهوماً ، أعرض لك فيه صورا ناصعة ، لطراز آخر من فلاسفة المجتمع الحديث .

أحمد عبد المجيد الغزالى